سمات سفراء النبي ﷺ

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد 36 – ج3– ص 3
– 60

1406هـ - 1985م

الجزء الثالث　　المجلد السادس والثلاثون





المحرم ١٤٠٦هـ
ايلول ١٩٨٥م

سمات سفراء النبي صلى الله عليه وسلم

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضو المجمع)

مستهل

بلغ عدد سفراء النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء العرب والأجانب خمسة عشر سفيرا ، خمسة منهم الى ملوك الأجانب : اثنان الى النجاشي ملك الحبشة ، وواحد الى كل من هِرَقل قيصر الروم ، وأبرويز كسرى الفرس ، والمقوقس ملك مصر . أما السفراء الباقون ، وهم عشرة سفراء ، فكانت سفاراتهم الى ملوك العرب وأمرائها .

ولم يُستشهد من سفراء النبي صلى الله عليه وسلم غير سفير واحد ، استشهد وهو في طريقه الى ملك بُصرى الغساني قبل أن يصل اليه ويبلغه مضمون سفارته ، أما السفراء الباقون فقد بلّغوا مضمون سفاراتهم ، وعادوا الى المدينة المنورة بعد انجاز واجباتهم سالمين .

ومُزقت رسالة نبوية واحدة ، ولم تُمزق غيرها من رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى من الملوك والأمراء الذين لم يعتنقوا الاسلام .

ورفض اثنان من الملوك والأمراء اعتناق الاسلام بشدة وبالتهديد : أبرويز بن هرمز ملك الفرس ، والحارث بن شمر الغساني ملك الغساسنة في الشام وحليف الروم عليها .

وصرف بالحسنى السفير النبوي كل من هرقل قيصر الروم ، والمقوقس ملك مصر ، وقدم المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم هدية سنية ، ولكنهما بقيا على دينهما ولم يسلما .

ومعنى ذلك ، أن أربعة من الملوك بقوا على دينهم ولم يسلموا ، وقد صرف ملكان منهم سفيري رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحسنى ، وصرف ملكان منهم سفيري رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنف والشدة .

وجميع الملوك الذين لم يسلموا من الأجانب ، عدا ملك الغساسنة الذي كان حليفا للروم ، وكان يفكر بعقل القيصر لابعقله ، ويعمل مايحب القيصر أن يعمله لاما يجب عليه أن يعمله ، فكان ملكيا أكثر من الملك .

أما الملوك والأمراء الآخرون ، فقد أسلموا وحسن اسلامهم ، وأسلم مع قسم منهم كثير من أتباعهم ، وأسلم مع النجاشي ملك الحبشة قسم من الأحباش، أي أن المسلمين أصبحوا الأكثرية في قسم من الأقطار التي أسلم ملوكها وأمراؤها ، بينما بقي المسلمون أقلية في بلاد الحبشة التي أسلم ملكها .

واذا أردنا أن يكون تعبيرنا أكثر دقة ووضوحا، حول انتشار الاسلام في الاقطار التي قصدها السفراء النبويون، فلابد من أن نذكر ان الاسلام انتشر انتشارا واسعا في تسعة أقطار عربية هي : اليمامة ، وعمان ، والبحرين ، وحضر موت ، وخمس مناطق شاسعة من اليمن ، يحكم كل منطقة منها ذو من الأذواء أو قيل من الأقيال . وكان انتشار الاسلام محدودا نسبيا في أرض الحبشة ، لأن اسلام النجاشي لايؤدي بالضرورة الى اسلام شعبه كافة ، اذ : (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) [1] ، والشك والتشكيك في اسلام النجاشي ، بحجة أن قومه لم يسلموا جميعا ، باعتبار أنه لو أسلم حقا لأسلم قومه معه

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٥٦) .

أيضا ، لايصدران الا عن فكر لايفهم تعاليم الاسلام حق الفهم ، أو يفهم تعاليم دينه ولايفهم تعاليم الاسلام ، فيحاول أن يطبق ما فهمه من تعاليم دينه على تعاليم الاسلام ، وهذا خطأ شنيع يدل على جهل مطبق أو تعصب مقيت ، لأن التعاليم الاسلامية في الدعوة الى الاسلام تختلف اختلافا عظيما عن تعاليم الأديان الاخرى ، فالاسلام ينهى عن الدعوة الى اعتناقه بالاكراه ، وتاريخ المسلمين خير شاهد على ذلك .

ونعود الى الملوك والأمراء الأربعة الذين لم يستجيبوا للاسلام ، لنعرف أسباب عدم استجابتهم ، وهل كان من جملة تلك الأسباب تقصير السفراء النبويين المرسلين الى أولئك الملوك والأمراء في التبليغ أدى فيما أدى اليه الى بقائهم على دينهم ؟ !

ونبدأ بالملكين اللذين لم يُسلما ، وصرفا السفيرين النبويين بالعنف : أولهما كسرى أبرويز ملك الفرس ، وكان معروفا بالصلف والعنجهية [٢] والتهور ، فساقته هذه المثالب الى أن يخسر ملكه وحياته في ثورة عارمة قادها عليه ابنه ، فقتل بيد ابنه لانه فقد عطف حتى ابنه من رعيته ، وأصبح التخلص منه انقاذاً للرعية ، فكان ابنه المنقذ المرتقب . كما أنه كان يرى أن العربي يُقاد ولا يقود ، لأن الذين سبق له التعاون معهم من العرب هم من هذا الصنف الذي يُقاد ولايقود ، ولم يسبق له التعاون مع العرب الذين يقودون ولايُقادون لأنهم كانوا حريصين على حريتهم وكرامتهم ، فلم يتعاونوا مع ملك ظالم مستبد مستعمر ، لايعرف للناس حقوقهم ولا للرجال قدرهم ، وابتعدوا عن السلطة نهائيا كما يبتعد الصحيح عن المريض والسليم عن الأجرب .

أما الثاني ، فهو الحارث بن شمر الغساني ملك الغساسنة بالشام ،

---

(٢) العنجهية : الكبر والظمة والجفاء .

وكان أمره ليس بيده ، بل بيد سيده هرقل ملك الروم ، وكان لايفكر بعقله بل بعقل سيده ، فيعمل بما يتوقع أن يرضى عنه سيده لابما يُرضي به عقله وضميره . لذلك افتعل الحماسة في مجابهة السفير النبوي ، فهدد وتوعد ، فلما علم أن هرقل استنكر أسلوب معاملته للسفير النبوي في تهديده ووعيده، تبدل فورا حاله من حال الى حال ، فأصبح غضبه حلما وشدته لينا وتشدده تساهلا ، وأكرم السفير النبوي وأعاده الى المدينة سالما .

ولم يُخفق السفيران النبويان اللذان قصدا كسرى والحارث بن شمر الغساني ، فقد أديا واجبيهما كما ينبغي ، وما لقياه من اعراض كان لأسباب خارجة عن ارادتهما ، ولا سبيل لهما ولا لغيرهما الى التغلب على تلك الاسباب القاهرة .

أما هرقل والمقوقس اللذان لم يسلما ، ولكنهما أعادا السفيرين النبويين بالحسنى ، فكانا يخافان على ملكهما وحياتهما من رجال الدين والرعية ، فهما مهتمان بشخصيهما ومصالحهما قبل اهتمامهما بشيء آخر .

ومع ذلك ، فان معاملتهما للسفيرين النبويين بالحسنى ، دليل على أن السفيرين لم يخفقا في اداء مهمتهما ، بل نجحا في اداء واجبهما نجاحا ملموسا .

واذا ثبت لدينا ، أن السفراء الأربعة ، الذين لم يسلم الملوك والأمراء بعد الاتصال بهم قد نجحوا في سفاراتهم النبوية ، بما لايقل عن نجاح السفراء النبويين الآخرين ، الذين أسلم الملوك والأمراء الذين أرسلوا اليهم واتصلوا بهم ، فمعنى ذلك أن السفارات النبوية نجحت نجاحا باهرا ، وان سفراء النبي صلى الله عليه وسلم نجحوا في اداء مهماتهم الصعبة الشاقة المعقدة في ظروف غير ملائمة . وكان من عوامل هذا النجاح الباهر المتميز ، هو اختيار الرجل المناسب للسفارة المناسبة ، وكان اختيار السفراء النبويين موفقا حقا ، وكانوا

عند حسن ظن المسلمين بهم ، لهم سمات خاصة أهلتهم لتحمل أعباء واجباتهم الثقيلة الصعبة بكفاية واقتدار في أصعب الظروف والأحوال ٠

لقد كان هدف السفارات النبوية ، هو الدعوة الى اعتناق الاسلام ، فكان سفراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم الى الملوك والأمراء في زمانه دعاة الى الاسلام [٣] ، ولكنهم كانوا صفوة الدعاة ، لأن اسلام ملك أو أمير يؤثر تأثيرا عظيما في أتباعه ، لذلك كان سفراء النبي صلى الله عليه وسلم هم صفوة الدعاة المسلمين من الصحابة ، فاذا كان الدعاة هم صفوة الصحابة ، فان السفراء النبويين هم صفوة الصفوة في سماتهم الخاصة التي تؤهلهم للنهوض بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والكياسة والمزايا الاخرى التي ترد تفاصيلها وشيكا ٠

ودراسة سمات سفراء النبي صلى الله عليه وسلم تستحق العناية الفائقة، من أجل الأسوة الحسنة المقتبسة من النبي صلى الله عليه وسلم في أسلوب اختيار السفراء ، ومن أجل ماضي المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم ، فالماضي عبرة للحاضر والمستقبل ، والماضي هو الأساس للحاضر والمستقبل ٠

والعبرة من عرض سمات سفراء النبي صلى الله عليه وسلم للحاضر والمستقبل، تكون للذين يملكون القرار في تولية السفراء ومن معهم في السفارات ثانيا ، حتى يحسن الملوك والرؤساء والأمراء اختيار السفراء ومن يعمل معهم بهدى سمات سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ، وحتى يقتدي السفراء ومن يعمل معهم بسفراء النبي صلى الله عليه وسلم ، فيحسنوا في عملهم ٠ والعبرة أيضا تكون لكل فرد من أفراد الأمة ، ليعرف كل فرد من أفراد الأمة ، كيف ينبغي أن تكون سمات السفير الصالح ومن يعمل معه في

---

(٣) سيرةابن هشام (٢٨٧/٤) وطبقات ابن سعد (٢٥٨/١) والطبري (٦٤٤/٢)٠

سفارته ، ليكونوا قادرين على النهوض بواجباتهم من أجل مصالح أمتهم وبلادهم .

وقد حاولت تعداد سمات كل سفير من سفراء النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء تفصيل سيرته ، وكانت تلك السمات هي السمات الخاصة بكل سفير .

وهذه الدراسة ، هي السمات العامة المشتركة بين سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ، جمعتها في بحث مستقل ، ليكون عبرة لمن يعتبر بماضي أمته المشرف المجيد .

الا أن هؤلاء السفراء النبويين ، بهذا العدد غير القليل ، في مثل تلك الظروف ، لايمكن أن يبرزوا بمثل هذه الكفاية العالية والقدرة المتميزة والاستقامة المطلقة والاخلاص النادر ، من فراغ ، بل أعدوا اعدادا دقيقا ليكونوا قادرين على مهمتهم قدرة لايتطرق اليها الشك ، وهذا الاعداد هو ما أطلق عليه تعبير : بناء السفراء .

وهذا البحث يشمل : بناء سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمات سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

وأهمية عبرة بناء السفراء ، لاتقل عن عبرة سمات السفراء ، فلكل منهما عبرته البالغة لحاضر المسلمين ومستقبلهم ، يتعلمونها من ماضيهم المشرف المجيد، في مرحلة من مراحل السيرة النبوية الغنية بالعبر والدروس .

بنـاء السـفراء

١ ــ الدعائم الثـلاث

استطاع النبي صلى الله عليه وسلم ، بناء الانسان المسلم ، والسفير المسلم انسان مسلم أيضا ، على ثلاث دعائم .

الأولى : العقيدة الاسلامية ، وهي عقيدة منشئة بناءة ، تصلح لكل زمان ومكان ، وتبدل معتنقها من حال الى حال •

والثانية : القدوة الحسنة ، فقد كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن، كما وصفته الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكان عليه الصلاة والسلام تعاليم الاسلام يمشي على الأرض بشرا سويا ، وكان يطبق تعاليم الاسلام على نفسه قبل غيره فيكون قدوة لغيره بالعمل الصالح والمعاملة الحسنة والخلق الكريم وبالتطبيق العملي للاسلام نصا وروحا •

والثالثة : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، والتنويه بمزاياه ، والتستر على عيوبه ومحاولة تقويمها ، وعدم غمط حقوق القادرين ، والاشادة بقدراتهم وابرازها ، والتركيز على المزايا دون المثالب ، والاستفادة من تلك المزايا لمصلحة المسلمين العامة ، وجعل المسلمين أفرادا يشعر كل فرد منهم أن حقه مصان ، وأنه في المكان القادر على الانتاج منه ، وجعل المسلمين جماعات يشعرون أنهم يحكمون من أفضلهم كفاية واقتدارا وعدلا ، وجعل المسلمين أمة تشعر أنها تحكم من أفضل أبنائها صلاحا وتجربة وعلما وعملا •

ومبدأ : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، استنادا الى الكفاية والايمان ، جعل القادرين من المسلمين يتنافسون تنافسا شريفا ، لتولي المنصب الذي يستحقونه بجدارة واقتدار ، من أجل خدمة الاسلام والمسلمين بعيدا عن المكاسب الشخصية ، وكانوا على يقين من أن المسلم لايتولى منصبا لايستحقه ، والسبيل الى التقدم هو في الايمان العميق والكفاية العالية ، ولا مجال للتقدم بغير هذين العاملين الحيويين ، لذلك أصبح الاجتهاد في تنميتهما هو السبيل الوحيد لتولي المناصب العامة •

والتحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، فخلف من بعده

خلفاء وأمراء وولاة وقادة عسكريون واداريون وسياسيون ، وقضاة وعلماء ومحدثون ومفسرون وفقهاء ووعاظ ومصلحون ، وعباد وزهاد وصالحون ، وسفراء وحكماء ومجاهدون ، لم يخلف أحد من قبله ولا من بعده أمثالهم كفاية ومقدرة ، وأمانة وحرصا ، واستقامة وقوة ، وتفرغا للمصلحة العليا للمسلمين ، وانكارا لذواتهم وأنفسهم ، وحبا للخير وللمؤمنين ، وبعدا عن الفرقة والفتنة وتمسكا بالوحدة والجماعة ، ولايزال أكثرهم قدوة حسنة وأسوة كريمة للمسلمين ، فكان خريجو مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم من أبرز خريجي المدارس المثالية عبر التاريخ وأكثرهم عددا ، وكان قرنه خير القرون التي مرت قبله والتي مرت وتمر بعده ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال : «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »(٤) .

تلك هي الدعائم الثلاث التي بنى النبي صلى الله عليه وسلم بها المسلمين أفرادا وجماعات وأمة ، وهو منهج متكامل في بناء الرجال ، ومنهم السفراء ، وأسلوب تربوي عملي أينع أحسن الثمرات .

٢ ـ العقيدة الاسلامية

أ ـ العرب :

من المعلوم أن الاسلام للعرب ولغيرهم من الأقوام ، والأمم وللناس جميعا ، لايميز بين جنس وآخر ولا بين لون ولون ، وكما أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، فان الاسلام خاتم الأديان ، فهو ليس لزمان معين ،

---

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود ، انظر : مختصر الجامع الصغير للمناوي (١٣/٢) .

ولا لمكان معين ، بل لكل مكان ، فهو الرسالة الخالدة الباقية التي تصلح لكل زمان ومكان •

ولكن العرب قوم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنزل القرآن الكريم بلغتهم ، والقرآن الكريم ليس كتاب الاسلام الأول حسب ، بل هو كتاب الاسلام الأول وكتاب العربية الاول أيضا •

وقد اعتنق العرب الاسلام قبل غيرهم ، وكانوا قادة الفتح الاسلامي وجنوده ، وهم الذين نهضوا بواجب الدفاع عن حرية نشر الدعوة الاسلامية•

والعرب اذا استقاموا استقام المسلمون ، وقد بلور الاسلام طاقاتهم المادية والمعنوية ، ووحدهم بعد تفرق ، وجمعهم بعد شتات • وجعل منهم قادة وسادة، وكان فضل الله على العرب بالاسلام عظيما •

ونستطيع أن نصف العربي الجاهلي ، بأنه عصبي المزاج ، سريع الغضب ، وهو أشد هياجا اذا جُرحت كرامته أو انتُهكت حرمته أو حرمة أهله أو حرمة قبيلته ، واذا اهتاج أسرع الى السيف واحتكم اليه •

والعربي ذكي ، يظهر ذكاؤه في لفتة ، وكثيرا ما يعتمد على اللمحة الدالة، والاشارة البعيدة ، كما يظهر في حضور بديهته •

والعربي ميال الى الحرية الشخصية ، فلا يدين بالطاعة لرئيس ولا حاكم ، وهو يحب المساواة في حدود القبيلة ، يعتد بقبيلته ثم بجنسه ، ويشعر في أعماق نفسه بأنه من دم متميز [٥] •

وكان أكثر العرب يعبدون الأصنام والأوثان ، فكانت الوثنية هي الدين السائد في شبه جزيرة العرب •

(٥) فجر الاسلام (١/٤٦ ـ ٤٧) .

وكان العرب في شبه الجزيرة العربية قسمين : بدوا ، وحضرا ، وكان البدو القسم الغالب من العرب • وكان البدو ولا يزالون ، يحتقرون الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة ، يعيشون على ماتنتجه ماشيتهم ، يأكلون لحومها بعد علاج بسيط ، ويشربون ألبانها ، ويلبسون أصوافها ، ويتخذون منها مساكنهم ، وهم يعتمدون في تغذية ماشيتهم على الكلأ ، واذا احتاجوا الى غير ماتنتجه ماشيتهم تعاملوا عن طريق البدل ، فكانوا يستبدلون بالماشية ونتاجها ما يتطلبون من تمر ولباس •

ونوع آخر اتخذوه أيضا وسيلة من وسائل العيش ، وهو الغارة والسلب، فيغيرون على قبيلة معادية ليأخذوا جمالها وماشيتها ويسبون نساءها وأولادها• وتتربص بهم القبيلة الاخرى ، لتفعل بهم مثل ما فعلوا بها ، بل هم اذا لم يجدوا عدوا من غيرهم قاتلوا أنفسهم ، ولعل خير مايمثل ذلك قول القطامي :[٦]

وأحيانا على بكر أخينا　　　اذا ما لم نجد الا أخانا

ومن أجل ذلك ، كثيرا ماتضطر القبيلة التي ضعفت الى الاحتماء بقبيلة قوية تذود عنها ، ولكن قل أن يدوم حلفهم أو يطول ، بل سرعان ماينتقض اجتماعهم وتنفصم وحدتهم ، فينقلب المتحالفون أعداء متحاربين •

أفراد القبيلة متضامنون أشد مايكون التضامن ، ينصرون أخاهم ظالما أو مظلوما ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم •

والممعن في البداوة منهم ضعيف الايمان بدين ، قل ان يؤمن الا بتقاليد قبيلته وما ورثه عن آبائه •

(٦) انظر ترجمته في : الشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٠٩ ــ ٦١٢) .

مثله الأعلى في الأخلاق يرتكز على ما سماه : (المروءة) ، تغنى بهـا في شعره وأدبه ، من الصعب أن تحدها حداً دقيقاً ، ولكن يصح أن نقول : انها تعتمد على الشجاعة والكرم • أما الشجاعة فتتجلى في كثرة من نازله وقاتله ، وفي مواقف دفاعه عن قبيلته ، وأكثر من هذا نجدته • وأما كرمه فيتجلى في نحر الجزور للضيف واغاثة البائس والفقير، وفوق هذا أن يعطى أكثر مما يأخذ، وأن يغشى الوغى ويعف عن المغنم •

لقد كانت الحروب عند البدو أساساً لحياتهم ، كانت الحرب هي القاعدة، وكان السلام هو الاستثناء •

أما الحضر من العرب فهمأرقى من ذلك كثيرا ، يسكنون المدن ويستقرون فيها ، ويعيشون على التجارة والزراعة ، وقد أسسوا قبل الاسلام ممالك ذات مدنية كما في اليمن ، والغساسنة في الشام ، والمناذرة في العراق •

لقد كان العرب مواد أولية متميزة : الـذكاء الفطري ، وحب الحريـة والمساواة ، والشجاعةوالاقدام ، والكرم والسخاء ، فعل الاسلام على تطويرها وصقلها والافادة منها ، ونجح في مسعاه أعظم النجاح •

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام [٧] اذا فقهوا » ، « وانما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [٨] •

ولكن كان في العرب مواد أولية رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط

---

(٧) حديث صحيح متفق عليه ، وفي رواية الامـام مسلم : « النـاس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » ، انظر كتاب : الجامع للأصول في أحاديث الرسول (٥/٨١) .

(٨) رواه البخاري في الأدب والبيهقي في شعب الايمان والحاكم في المستدرك، ورواه مالك في الموطأ بهذا اللفظ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، حديث صحيح .

والنظام بينهم ، وعبادة الأوثان والأصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ، فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وكان نجاحه فيها يتناسب تناسباً طردياً مع ايمان الانسان العربي بالاسلام ، فكلما كان ايمانه عميقاً ، كان تخلصه من مثالبه المتوارثة حاسما ، والعكس صحيح •

ب ـ الاسلام :

جاء الاسلام ، الذي عماده الخضوع لله والانقياد له ، فكان في تعاليمه الدواء الناجع لعقلية الجاهلية : عقلية الأنفة والحمية والتعصب •

ان تعاليم الاسلام قسمان : عقائد ، وأعمال •

أما (العقائد) ، فان أهم أصل من أصول الاسلام ، هو الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى •

الاسلام يصف الله سبحانه وتعالى بأوصاف ـ كما وردت في القرآن الكريم ـ بأنه ليس اله قبيلة ولا اله أمة وحدها ، ولا اله الناس وحدهم ، بل هو اله كل شيء : (رب العالمين) [٩] ، وكل شيء في الوجود مخلوق له وخاضع لأمره : (لله ما في السموات وما في الارض) [١٠] •

وكل شيء من مظاهر الكون خلقه الله تعالى ، وقد أحاط علمه بكل شيء ، وأحاطت قدرته بكل شيء ، وهو اله واحد ، وليس هناك من يشاركه في ألوهيته •

وليس لأي مخلوق ولا لأية طائفة ، سلطان على الناس في عقائدهم ، ولا في أية صفة من صفات الربوبية : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون

---

(٩) الآية الكريمة من سورة الفاتحة أم الكتاب (١ : ١) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٨٤) .

الله) [11] ، ولا يرضى الاسلام عن أي نوعٍ من التعدد ، ولا أي رمز يشعر بالتعدد .

وقد اختار الله أفراداً من خلقه ، واتصل بهم بالوحي ، ومن هؤلاء ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، صلوات الله وتسليمه عليهم جميعاً .

وهناك وراء هذه الحياة حياة أخرى : يوم القيامة ، واليوم الآخر ، ويوم الحساب ، ويوم الدين . وهذا اليوم هو يوم المثوبة على العمل الصالح ، والعقوبة على العمل السيىء ، وكل عمل أتاه الانسان يسجل عليه . وقد جعل للمثوبة والعقوبة دارين : دار المثوبة وهي الجنة ، ودار العقوبة وهي النار .

ثم ان وراء هذا العالم المادي ، عالماً آخر روحياً فيه نوعان من الأرواح : نوع خير يطيع الله ما أمره ويجذب الناس الى الخير ويسمى الملائكة ، ونوع شرير يستغوى النفوس الى الشر ويسمى الشياطين .

أما (الأعمال) ، فهناك على المسلم أعمال يجب أداؤها ، وهي أساسية كالعقائد ، وهي : الصلاة ، ويقصد بها أن تكون مظهراً من مظاهر الاخلاص لله ، وتعبيراً دينياً يشرح عاطفة الاجلال لله تعالى : (أقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر) [12] .

والزكاة ، وهي أن تؤخذ من مال الغنى للفقير ، وللصالح العام . ثم صوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

ولم يقتصر الاسلام على غرس هذه (العقائد) وتلك (الأعمال) ، بل أمر بالتمسك بالخلق الكريم : (واذا حييتم بتحيةٍ فحيوا بأحسن منها أو

---

(11) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٣١) .
(12) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩ : ٤٥) .

ردوها) [١٣] و (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) [١٤] ، ووفاء بالوعد ، وصبر في الشدائد ، وعدل بين الناس ، وعفو عند المقدرة .

لقد هدم الاسلام الوحدة القبلية والوحدة الجنسية ، وعلّم أن معتنقي الاسلام كلهم كتلة واحدة لا تفاضل بين أفرادها الا بطاعة الله وتنفيذ أوامره، وحتم الطاعة لله والطاعة للرسول ، والطاعة لأولى الأمر في الامة ، ما أطاع ولي الامر أوامر الله سبحانه وتعالى [١٥] .

وكانت للعرب مهارة في حرب العصابات والغارات ، ومهارة في استخدام السلاح والفروسية ، وكانت لهم قابلية متميزة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر وسرتة وبأقل التكاليف الادارية .

فلما جاء الاسلام ، وحد عقيدتهم ، ووحد أعمالهم ، وجمع صفوفهم ، ونظمهم ، وغرس فيهم الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وأشاع فيهم انسجاماً مادياً ومعنوياً ، فأصبحت قوتهم المبعثرة ، وجهودهم المضاعة ، تعمل بنظام دقيق وضبط متين وطاعة مطلقة ، بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها اخوة يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة ، تحيتها السلام ، وغايتها السلام ، ودينها الاسلام .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤم ألفين في عمرة القضاء التي كانت في شهر ذى الحجة من السنة السابعة الهجرية ، ومائة ألفٍ في حجة

---

(١٣) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٦) .
(١٤) الآية الكريمة من سورة النور (٢٤ : ٢٧) .
(١٥) فجر الاسلام (١/٨٨ ـ ٩٢) .

الوداع التي كانت في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة الهجرية (١٦) ، يسيرون كلهم في نظام أدق نظام هرولةً ومشياً واستلاماً للركن أو الحجر الأسود ، هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من أسباب القوة ، بل هو مصدرها وملاكها ، وهذه الامامة بقيام رجل مطهر يؤمن أصحابه بصدقه ، هي روح هذه القوة وقوامها (١٧) .

ولقد بدأت منذ ظهور الاسلام الصلاة العامة ، ثم قامت صلاة الجماعة التي أداها المسلمون وراء امام واحد ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفاً للصلاة، يؤدون ركعاتها وسجداتها في تناسق مدهش وفي نظام ووقار ، لايمكن أن يغفل ما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية في نفوس المسلمين لغرض غرس النظام والضبط والطاعة .

ان العرب أباة لايخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالضبط والنظام والطاعة ، فكانت لهذه الصلاة أهمية بالغة في (ايقاظ) روح النظام والضبط والطاعة في نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقي للتدريب العسكري عند المسلمين ، ثم كان لهذا التدريب أثره في تربيتهم على حب النظام والضبط والطاعة ، فأصبح فيهم على مر الأيام طبعاً ولم يبق تطبّعا .

ثم ان نظام المسلمين في الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق فيهم شعوراً بالمساواة التي كانت من الأفكار الجديدة على بلاد العرب ، اذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هي رابطة الدم . كما أن المظاهر الرئيسة التي سادت حياة العرب اذ ذاك هي الافتخار بالاسرة والحسب والثراء

---

(١٦) طبقات ابن سعد (٢/١٧٢) .
(١٧) في منزل الوحي ــ (١٠٥) ــ ط ٢ .

وامتهان شأن الفقير وعديم الجاه ، لذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم ، مهد السبيل لوحدة بلاد العرب المتنافرة ، عندما نجح في تدعيم الاتحاد الذي احتضن الفقير والغني على أساس المساواة ، وعندما نجح كذلك في توجيه ضربة عنيفة الى العصبية القبلية والعائلية •

والى جانب الصلاة ، كانت فكرة المساواة الاجتماعية تجديداً أحدثه الاسلام ، فأصبحت مساعدة الفقير والقيام بأمره واجباً مقدساً ، ولم يَعد من شأن الأفراد أن يعطوا كيفما شاؤوا ، وانما غدت الزكاة فرضاً تُجبى الى بيت المال ويُنفق منها على الفقراء [١٨] •

والحق أن الزكاة كانت وماتزال طفرة حاسمة الى الأمام ، وحتى اليوم نجد أن الضرائب بمختلف أنواعها وأشكالها وغاياتها وأهدافها ، توضع على الأرباح وتعفى رأس المال ، أما الزكاة فلا تعفى رأس المال ، مع شمولها الأرباح أيضا [١٩] •

لقد وجد الاسلام ، بتعاليمه التي تغرس الطاعة والضبط والنضام في النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضاً خصبة في العرب، الذين كانت لهم خبرة طويلة في الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، أنه جمع شملهم ووحد صفوفهم وطهر قلوبهم ، وأشاع في عقولهم الانسجام الفكري الذي بدونه يكون التعاون مستحيلاً ، كما غرس فيهم النظام والطاعة والضبط ، فأصبحوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، أقوياء بعد ضعف ، موحِّدين بعد شرك، موحَّدين بعد تفرق ، متعاونين بعد تقاطع ، يؤثرون المصلحة العامة على المصلحة

---

(١٨) الحضارة العربية ـ ي. هل ـ ترجمة د. ابراهيم العدوى (٢٣ ـ ٢٤) .
(١٩) الوسيط في رسالة المسجد العسكرية (٦٢) ـ ط ٧ .

الشخصية ، ومصلحة المسلمين على مصلحة القبائل ، بعيدين عن العصبية والتعصب ، أكرمهم عند الله أتقاهم لا أغناهم أو أقواهم أو أشرفهم حسباً ونسبا .

لقد كانت العقيدة الاسلامية عقيدة منشئة بناءة ، وكان العرب هم الرواد الأولين لهذه العقيدة .

ج ـ اثر الاسلام في العرب :

لاشك في أن تعاليم الاسلام ، رفعت المستوى العقلي للعرب الى درجة كبرى ، فهذه الصفات التي وصف بها الله سبحانه وتعالى الاسلام ، نقلتهم من عبادة أصنام وأوثان ، وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر واسفاف في الفكر ، الى عبادة اله وراء المادة : (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وهو يُدْرِكُ الأَبْصارَ) [٢٠] .

وكان الاله عند أكثرهم اله فردٍ أو اله عائلة أو اله قبيلة ، وان اتسع سلطانة فاله قبائل أو اله العرب ، فأبانه الاسلام اله العالمين ومدبر الكون ، بيده كل شيء ، عالماً بكل شيء ، فاستطاع العربي بهذه التعاليم أن يرقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان والعلم ، وأفهمهم الاسلام أن دينهم خير الأديان، وأن العالم حولهم في ضلال ، وأن نبيهم نبي الناس جميعاً ، وأنهم ورثته في حمل دعوته الى الأمم ، فكان ذلك من البواعث لهم على حمل الدعوة للناس كافة وحماية حرية نشر الدعوة ، فمن دخل في دينهم كان كأحدهم ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وما كان سفراء النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء في زمانه الا دعاة للاسلام ، مبشرين بتعاليمه .

---

(٢٠) الآية الكريمة من سورة الأنعام (٦ : ١٠٣) .

وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، أثر عظيم في بيع كثير منهم نفوسهم في سبيل الله ، حماية لحرية انتشار الدعوة ، ودفاعاً عن الاسلام والمسلمين : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهمُ الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوزُ العظيم) (٢١) .

وكان للاسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس .

ان الاسلام رسم مثلاً أعلى للانسان غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان ، فالشجاعة والكرم الى حد الاسراف ، والشهامة التي لا حد لها ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة في الانتقام ، والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل ، هذه التي كانت أصول الفضائل عند العرب الوثنيين ، أصبحت في الاسلام الخضوع لله ، والانقياد لأمره ، والصبر ، واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة ، وعدم التفاخر والتكاثر ، وتجنب الكبر والعظمة ، هي المثل الأعلى للمسلم في الحياة (٢٢) .

ان الاسلام عقيدة وعملاً وتشريعاً ومثلاً علْيا ، صهر نفسية العربي المسلم ، ونفى عنها الخَبَثَ ، فأصبح لا يكذب ولا يسرق ولا يزني ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس ، يُخلص لعقيدته أكثر مما يخلص لنفسه وقبيلته ، ويطيع

---

(٢١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١١١) .
(٢٢) فجر الاسلام (١/٩٣ ـ ٩٥) .

أوامر الله ورسوله وأولي الأمر ما أطاعوا الله ، وبذلك أصبح فرداًمفيداً باع نفسه لله اخلاصاً لعقيدته .

هذا العربي المسلم ، بهذه السجايا النادرة ، أصبح بدون شك عنصراً مفيداً كل الفائدةلتكوين أمة صالحة : تعبد رباً واحداً ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات ، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هي العليا .

لقد تصرف العربي المسلم ــ فرداً ، تصرفاً لايزال يعتبر من الأعمال الفذة النادرة في مجال تصرف الأفراد في مختلف الملل والنحل والأجناس والالوان : تحمل التعذيب صابرا ، والموت راضيا ، وترك أهله وماله مهاجراً الى الله ورسوله، وضرب بمصلحة أهله الأقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربي المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفاً لايزال يعتبر من الاعمال الفذة النادرة في مجال تصرف الأمم : اندفع يجاهد في الله حق جهاده، وحمى الدعوة وحرية نشرها بين الناس ، ودافع عن الارض والعرض والمال والنفس ، فخرجت القوة المؤمنة التي اختزنتها الصحراء عبر الاجيال ، تحمل رايات الاسلام وتبلغ دين الله عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة حين تمسكت بمباديء الاسلام ، فلما تخلت عنها لم تنتصر أبدا .

وكما كان لها انتصاراتها في المجال العسكري ، وفي المجال الاداري ، وفي المجال القضائي ، وفي المجال العلمي ، وفي المجال الاقتصادي ، وفي المجال الاجتماعي ، كان لها انتصاراتها في مجال السفراء أيضا ، كما ذكرنا تفصيله في سير سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

وما كان انتصارتها في شتى المجالات ، الا نتيجة من نتائج التربية الاسلامية ، وقد ذكرنا أثر العقيدة الاسلامية في التربية الاسلامية ، فلابد

من ذكر أثر القدوة الحسنة في تلك التربية ، فأثرها بالغ الأهمية كما سيتضح لنا وشيكا •

لقد كان أثر العقيدة الاسلامية في سفراء النبي صلى الله عليه وسلم أثرا عظيما ، وسنرى تأثرهم بالقدوة الحسنة ، لاستكمال بنائهم واعدادهم للنهوض بمهماتهم في الدعوة الى الله في محيط الملوك والأمراء ، وما أصعب أن يغير المرء عقيدته التي نشأ عليها ، وبخاصة اذا كان من الملوك والأمراء •

٣ ـ القدوة الحسنة

ا ـ في مكة المكرمة :

كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة لأصحابه ، وكان المثال الشخصي لهم يقتفون آثاره ، ويتأسون بأعماله • اذ لاتأثير بكلام لم يمتلىء من نفس قائله ليكون عملا ، فيتحول في النفوس الاخرى عملا ولايبقى كلاما• ان التأثير في النفوس الاخرى لايكون بتأليف القول للسامع يسمعه ، ولكنه تأليف لنفس أخرى تراها في كلامها ، فيكون هذا الكلام قرابة بين النفسين ، وقديما قالوا : «الكلام الخارج من القلب يؤثر في القلب ، والكلام الخارج من اللسان لايتجاوز الآذان » •

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أقل الناس كلاما ، ولكنه كان اذا تكلم نطق قلبه ، واذا عمل نطقت جوارحه ، لذلك كان تأثيره هائلا في أصحابه ، وكان مثلهم الأعلى قولا وعملا وايمانا وخلقا ومعاملة واستقامة وشجاعة واقداما •

كان النبي صلى الله عليه وسلم من أشرف بيوتات قريش[٢٣] التي تعتبر

(٢٣) انظر نسبه في : سيرة ابن هشام (١/١) وطبقات ابن سعد (١/٥٥) وعيون الأثر (١ ٢١) وجوامع السيرة (٢) وجمهرة أنساب العرب (١٤ـ١٦).

من أشرف القبائل العربية على الاطلاق ، وكان رجال قريش يطلقون عليه لقب : الأمين ، قبل أن ينزل عليه الوحي [٢٤] .

وبُعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبدأ يدعو الى الله سرا ، ثم جهر بالدعوة ، فمشى رجال من أشراف قريش الى عمه أبي طالب ، يدعونه أن يكفه عنهم ، أو يخلي بينه وبينهم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى على ماهو عليه : يظهر دين الله ، ويدعو اليه [٢٥] .

ومشى أشراف قريش الى أبي طالب مرة أخرى ، ولكن قناة النبي صلى الله عليه وسلم ما لانت للتهديد والوعيد ، وقال لعمه : «يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته » [٢٦] .

وجعل رجال قريش يجلسون بسُبل الناس حين قدموا الموسم ، لايمر بهم أحد الا حذروه وذكروا له أمره[٢٧] .

وأغرى رجال قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لايستخفى به ، مُباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم .

وطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون : «أنت الذي تقول كذا وكذا ؟! » لما كان يقول من عيب

---

(٢٤) سيرة ابن هشام (٢١٤/١) .
(٢٥) سيرة ابن هشام (٢٧٦/١ ـ ٢٧٧) .
(٢٦) سيرة ابن هشام (٢٧٨/١) .
(٢٧) سيرة ابن هشام (٢٨٥/١) .

آلهتهم ودينهم ، فيقول : «نعم ، أنا الذي أقول ذلك» ، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول : «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله » (٢٨) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فلم يلقه أحد من النـاس الا كذبه وآذاه ، فرجع الى منزله وتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله قولـه في كتابه العزيز : (يا أيها المدثر ، قم فأنذر) (٢٩) .

وذكر عبدالله بن مسعود قال : «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام ، فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد ؟ ، فانبعث رجل ، فألقاه عليه ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها ، فألقتـه عنـه »(٣٠) .

ومر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا (٣١) ، فآذاه وشتمه ونال منه بعض مايكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره (٣٢) .

ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلـوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وان النجاشي صاحب الحبشة قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن الاسلام جعل يفشو في القبائل ، اجتمعـوا وائتمروا أن يكتبوا

(٢٨) سيرة ابن هشام (٣٠٩/١ ــ ٣١١) .
(٢٩) سيرة ابن هشام (٣١١/١) ، والآية الكريمة من سورة المدثر (٧٤ : ١ـ٢).
(٣٠) عيون الأثر (١٠٣/١) .
(٣١) عيون الأثر (١٠٤/١) ، والصفا والمروة : جبلان بين بطحاء مكة والمسجد، أما الصفا ، فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس ، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي ، ومن وقف بالصفا كان بحذاء الحجر الاسـود ، والمشعر الحرام بين الصفا والمروة ، انظر معجم البلدان (٣٦٥/٥) .
(٣٢) عيون الأثر (١٠٤/١) .

كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المُطلب ، على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولايبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا ذلك في الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب ودخلوا معه في شِعْبِه ، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ، لايصل اليهم شيء الا سرا (٣٣) .

وكان نفر من قريش يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ، فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يُصلي ، وكان أحدهم يطرحها في بُرمته (٣٤) ، اذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم اذا صلى ، فكانوا اذا طرحوا عليه الأذى يخرج به على العُود ، فيقف على بابه ، ثم يقول : « يا بني عبد مناف ! أي جوار هذا ؟ ! » ، ثم يلقيه في الطريق (٣٥) .

ومات أبو طالب ، وماتت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب : بموت خديجة، وكانت له وزير صدق على الاسلام ، يشكو اليها ، وكانت له زوجة صالحة على الخير ، يأوى الى حنانها ؛ وبموت عمه أبى طالب ، وكان له عضدا وحرزا ومنعة وناصرا على قومه ، وكان موتهما قبل مهاجره الى المدينة المنورة بثلاث سنين . فلما توفي أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٣) سيرة ابن هشام (١/٣٧١ ــ ٣٧٦) وجوامع السيرة (٦٤) .
(٣٤) البرمة : بضم فسكون ــ القِدْر مطلقاً ، وهي في الأصل التي تتخذ من الحجر المعروف بالحجاز واليمن .
(٣٥) سيرة ابن هشام (٢/٢٥) .

بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه احدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : «لاتبكي لابُنية ! فان الله مانع أباكِ » (٣٦) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من عند الله عز وجل . وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، فعمد الى نفر من ثقيف وأشرافهم ، وجلس اليهم ودعاهم الى الله ، وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجأوه الى حائط لعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، فعمد الى ظل شجرة العنب ، وجلس فيه يقول : « اللهم أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد تجهمني ؟ أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك علي عضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك ، لك العُتبى (٣٧) حتى ترضى ، ولاحول ولاقوة الا بك » ، ثم انصرف من مدينة الطائف عائدا الى مكة المكرمة حين يئس من قبيلة ثقيف (٣٨) .

ثم كانت بيعة العقبة الأولى في السنة الحادية عشرة من النبوة (٣٩) ، وبيعة العقبة الثانية في السنة الثانية عشرة من النبوة(٤٠) ، فأمر النبي صلى

---

(٣٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٥ ـ ٢٦) .
(٣٧) العتبي : الرضى .
(٣٨) سيرة ابن هشام (٢/٢٨ ـ ٣١) وعيون الأثر (١/١٣٤) وجوامع السيرة (٩٧) وانظر طبقات ابن سعد (١/٢١٠ ـ ٢١٢) .
(٣٩) البدء والتاريخ (٤/١٦٥) .
(٤٠) البدء والتاريخ (٤/١٦٥) .

الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة المنورة وقال : «ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها» ، فخرجوا ارسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة [٤١] .

ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم في غير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم ، وعرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عله وسلم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم اذا خرج ، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهم : «احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله » . وقال آخر : «نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا ، فوالله لانبالي أين ذهب ، ولاحيث وقع ، اذا غاب عنا فرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت». وقال أبو جهل : «والله ان لي لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ... أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فتيا ، ثم نُعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدون اليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ، فأنهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل [٤٢] فعقلناه لهم » ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له [٤٣] .

واجتمع الشباب الذين اختارهم أشراف قريش من القبائل لاغتيال النبي

(٤١) سيرة ابن هشام (٧٦/٢) .
(٤٢) العقل : الدية .
(٤٣) سيرة ابن هشام (٩٢/٢ ـ ٩٥) .

صلى الله عليه وسلم على بابه ليلا ، يرصدونه متى نام ليثبوا عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن ابى طالب رضي الله عنه : « نم على فراشي ، وتَسَجَّ ببُردى هذا الحضرمي الاخضر ، فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم »[٤٤] .

هنا تبدأ قصة من أجل ما عرف التاريخ من مغامرة في سبيل الحق والعقيدة والايمان قوة وروعة وشجاعة واقداما .

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أعد راحلتيه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، وخرجا من خوخة[٤٥] لأبى بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بجبل ثور أسفل مكة ، فدخلاه ليلا ، وأقاما به ثلاثا .

وجعلت قريش حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم[٤٦] .

وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب ، حتى انتهوا الى باب الغار ، فقال بعضهم : «ان عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد»[٤٧] .

وفي الغار ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، وكان أبو بكر خائفا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يقترب منه ويلصق نفسه به ، فيهمس النبي صلى الله عليه وسلم في أذن أبى بكر الصديق : «لاتحزن ، ان الله معنا» . وحين شعر أبو بكر بدنو الباحثين عنهما قال هامسا : «لو نظر أحدهم تحت قدميه ، لأبصرنا » فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : «يا أبا بكر ! ماظنك

---

(٤٤) سيرة ابن هشام (٢/٩٥) وطبقات ابن سعد (١/٢٢٧) .
(٤٥) الخوخة : كوة في البيت تؤدي الى الضوء ، وباب صغير وسط باب كبير نصب حاجزاً بين دارين .
(٤٦) سيرة ابن هشام (٢/٩٨ ــ ٩٩) .
(٤٧) طبقات ابن سعد (١/٢٢٨) .

باثنين ، الله ثالثهما ! »[٤٨] .

وخرجا بعد ثلاثة أيام من الغار ، حين عرفا أن قد سكن الناس عنهما ، ولكن سراقة بن مالك بن جعشم [٤٩] علم بمكانهما ، فركب في أثرهما . فلما اقترب منهما ، عثر به فرسه ، وذهبت يداه في الارض ، وسقط عنه ، فعرف سراقة حين رأى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مُنع منه [٥٠] .

ب ـ في المدينة المنورة :

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهو لايملك فيها دينارا ولا دارا ، فنزل ضيفا على أبى أيوب الأنصاري [٥١] ستة أشهر [٥٢] ، حتى أنجز بناء مسجده ومساكنه ، وعمل في المسجد ليُرغب المسلمين في العمل [٥٣] ، وجعل ينقل الحجارة بنفسه [٥٤] ، فتم ببناء المسجد بناء الثُكنة الاولى في الاسلام .

ولكي يتفرغ لقتال قريش دون أن تقلقه الجبهة الداخلية في المدينة المنورة، كتب كتابا بين المسلمين من جهة وبين يهود المدينة من جهة ثانية : وادعهم فيه وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم [٥٥] ،

---

(٤٨) طبقات ابن سعد (١٧٣/٣ ـ ١٧٤) .
(٤٩) انظر سيرته في : اسد الغابة (٢٦٤/٢ ـ ٢٦٦) والاصابة (٦٩/٣ ـ ٧٠) والاستيعاب (٥٨١/٢ ـ ٥٨٢) .
(٥٠) سيرة ابن هشام (١٠٣/٢) .
(٥١) انظر سيرته في : طبقات ابن سعد (٤٨٤/٣) واسد الغابة (١٤٣/٥) والاصابة (٨٩/٢) والاستيعاب (١٦٠٦/٤) والاستبصار (٦٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١٧٧/٢) .
(٥٢) عيون الأثر (١٩٥/١) .
(٥٣) سيرة ابن هشام (١١٤/٢) والسيرة الحلبية (٧٦/٢) .
(٥٤) طبقات ابن سعد (٢٤٠/١) .
(٥٥) انظر نص المعاهدة في : سيرة ابن هشام (١١٩/٢ ـ ١٢٣) وسرح العيون (١٩٧ ـ ١٩٨) .

وقد نصّت تلك المعاهدة بصراحة على : «أنه لايجوز لمشرك من أهل المدينة ، أن يُجير مالا لقريش ولا نفسا ، ولايحول دونه على مؤمن » [٥٦] ، فاستطاع الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بهذه المعاهدة ، أن يجعل أهل المدينة جميعا على اختلاف أديانهم يدا واحدة على أعدائهم [٥٧] ، وبخاصة على قومه قريش .

ولم يكد يستقر في المدينة ، الا نصبت أحبار يهود العداوة له بغيا وحسدا وضغنا ، وأضاف اليهم [٥٨] رجال من الأوس والخزرج كانوا أهل نفاق ، فظهروا بالاسلام واتخذوه جُنة [٥٩] من القتل ، ونافقوا في السر ، وكان هواهم مع يهود ، لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام [٦٠] .

وذهب يهود الى أبعد من ذلك ، فحاولوا الوقيعة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد جمع الأوس والخزرج مجلس واحد يتحدثون، فغاظ أحد يهود ما رآه من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فأمر هذا اليهودي أحد شباب يهود وقال له : «اعمد اليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم (بُعاث)[٦١] وماكان قبله ، وأنشدهم بعض ماتقاولوا فيه من الأشعار ، وكا نيوم بُعاث يوما

---

(٥٦) سيرة ابن هشام (١٢١/٢) .
(٥٧) الرسول القائد (٦٠) ــ ط ٣ .
(٥٨) وأضاف اليهم : يريد انه أخذ ما أخذوا به من الحسد والبغض والعداوة .
(٥٩) الجنة : وقاية يجتنون بها ، اي يستترون .
(٦٠) سيرة ابن هشام (١٣٥/٢) .
(٦١) يوم بعاث : انظر تفاصيل هذا اليوم في كتاب : ايام العرب في الجاهلية (٧٣ ــ ٨٤) ، وهو بين الأوس والخزرج في الجاهلية ، وكانوا في مدينة يثرب .

اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، فتكلم القوم عند ذاك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب ، وغضب الفريقان معا ، وقالوا : موعدكم الظاهرة ... السلاح ... السلاح» ، وخرجوا اليها . وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ، فقال: «يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد ان هداكم الله للاسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ؟ ! » ، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم [٦٣] .

بل ذهبت يهود الى أبعد من ذلك كثيرا ، فحاولت اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى يهود بني النضير يستعينهم في دية رجلين قتلهما خطأ أحد المسلمين ، فاختلى بعضهم ببعض وقالوا : «لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن ، فمَن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ » ، فقال أحدهم : « أنا ». ولكن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف عنهم [٦٤] ، قبل أن ينفذوا خطة اغتياله ، ففوت عليهم تلك الفرصة .

وبدأ الصراع بين قوات المسلمين القليلة وقوات المشركين الكثيرة ، وكانت

---

(٦٢) الظاهرة : الحرّة - حرّة المدينة المنورّة .
(٦٣) سيرة ابن هشام (٢/١٨٣ - ١٨٥) ، والآيتان الكريمتان من سورة آل عمران (٣ : ١٠٠ - ١٠١) انظر تفسيرهما في : البغوي (٢/١٩٨ - ١٩٩) والكشاف (١/٣١٧) والبيضاوي (٢/٣٢) .
(٦٤) سيرة ابن هشام (٢/١٩٢) .

قوات المسلمين قليلة بعددها وعُددها ، قوية بايمانها وقيادتها ، فكان الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام هو الأسوة الحسنة للمؤمنين من أصحابه في الجهاد ، كما كان هو الأسوة الحسنة لهم في السلم •

كان عدد الذين شهدوا غزوة بدر الكبرى الحاسمة بضعة عشر وثلاثمائة رجل [٦٥] ، وكان عدد الذين شهدوها من المشركين تسعمائة وخمسين رجلا[٦٦]، وكان مع المسلمين سبعون بعيرا وفرسان [٦٧] ، وكان مع المشركين مئتا فرس وعدد ضخم من الابل ، وكان المسلمون حين خرجوا الى بدر تنقصهم الضروريات الادارية ، فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : « اللهم انهم حُفاة فاحملهم ، اللهم انهم عراة فاكسهم ، اللهم انهم جياع فأشبعهم»[٦٨] ، أما المشركون فكانوا في حالة ادارية متميزة •

ولكن الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، قرر أن يخوض هذه المعركة الحاسمة على الرغم من تفوق المشركين على المسلمين بالعَدد والعُدد والقضايا الادارية •

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقدِّر تمام التقدير ، ويعرف تمام المعرفة ، ماذا يَعنيه اندحار المسلمين في هذه الغزوة الحاسمة ، في هذا الصراع الحاسم بين عقيدتين ، لذلك دأب على مناشدة ربّه ما وعده من النصر، فيقول فيما كان يقول : « اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبَد » ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : « يا نبي الله ! بعض مناشدتك ربك ، فان

(٦٥) فتح الباري بشرح النجاري (٢٢٨/٧) وطبقات ابن سعد (١٩/٢) .
(٦٦) طبقات ابن سعد (١٥/٢) .
(٦٧) طبقات ابن سعد (١٤/٢) .
(٦٨) طبقات ابن سعد (٢٠/٢) .

الله منجز" لك ما وعدك » [٦٩] .

وخرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا الى البراز ، فخرج اليهم ثلاثة من الأنصار بنو عَفْراء : مُعَاذ ومُعَوِّذ وعَوْف بنو الحارث ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون أول قتال لقى فيه المسلمون المشركين في الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة ببني عمّه وقومه ، فقال : « يا بني هاشم ! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيّكم ، اذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » ، فقام حمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف [٧٠] ، وقاتلوا أولئك المشركين الثلاثة ، وبذلك استأثر النبي صلى الله عليه وسلم لأهله الاقربين بالخطر [٧١] ، فاستُشهد يومئذ بسبب هذه المبارزة عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب [٧٢] .

ونزل النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه يباشر القتال ، ليضرب لأصحابه أروع الأمثال في الشجاعة والتضحية والفداء ، فقد شوهد في أثر المشركين مُصْلِتاً للسَّيف يتلو هذهالآية الكريمة : «سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ » [٧٣] . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لما كان يوم بَدْرٍ وحضر البأس ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أشدّ الناس بأساً يومئذٍ ، وما كان أحد أقرب الى المشركين منه » [٧٤] .

---

(٦٩) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧) .
(٧٠) طبقات ابن سعد (٢/١٧) وعيون الأثر (١/٢٥٤) وسيرة ابن هشام (٢/٢٦٥) .
(٧١) الرسول القائد (١٠٠) .
(٧٢) طبقات ابن سعد (٣/٥١) والاصابة (٤/٢١٠) وأسد الغابة (٣/٣٥٧) .
(٧٣) طبقات ابن سعد (٢/٥١) ، والآية الكريمة من سورة القمر (٥٤ : ٤٥) .
(٧٤) طبقات ابن سعد (٢/٢٣) .

وفي غزوة أُحُد ، جُرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكُسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه [٧٥] ، واستُشهد عمه حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه[٧٦] ، واستُشهد سبعون من أصحابه [٧٧] .

وفي غزوة ذات الرِّقاع [٧٨] ، حاول رجل من غَطَفَان أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا الرجل لقومه : « ألا أقتل لكم محمداً ؟ » ، قالوا : « بَلَى ، وكيف تقتله ؟ » ، قال : « أفتك به» . وأقبل الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره ، فقال : « يا محمد ! أنظر الى سيفك هذا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، فأخذه واستله وجعل يهزّه ، ثم قال : « يا محمد ! أما تخافني ؟! » ، قال : « لا ، وما أخاف منك ! » ، قال : « أما تخافني وفي يدي السّيف ! » ، قال : « لا ، يمنعني الله منك ! » [٧٩] .

وفي غزوة الخندق ، عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين في حفر الخندق ، لينشط المسلمين ، وكان ينقل التراب على كاهله حتى اغبرّ بطنه . وكان المشركون عشرة آلاف ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، وازداد موقف المسلمين خطرا بعد أن نقض يهود بني قُرَيْظَة العهد ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأنصار ، فقال : « انطلقوا حتى ننظر أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ ! فان كان حقاً ، فالحنوا

---

(٧٥) شرح النووي علي مسلم (٢٣٩/٤ ــ ٢٤٠) وفتح الباري بشرح البخاري (٢٨٦/٧) .

(٧٦) فتح الباري بشرح البخاري (٢٨٣/٧) وسيرة ابن هشام (١٥/٣) .

(٧٧) فتح الباري بشرح النجاري (٨٨/٧) .

(٧٨) قبل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، انظر سيرة ابن هشام (٢١٤/٣) .

(٧٩) سيرة ابن هشام (٢١٦/٣) .

لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس » ، فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم : نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : « مَنْ رسول الله ؟ ! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد » (٨٠) .

ونجم النفاق ، وفشل الناس ، وعظم البلاء ، واشتد الخوف ، وخيف على الذراري والنساء ، وكان المسلمون كما قال الله تبارك وتعالى : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر) (٨١) . وكانت القضايا الادارية للمسلمين سيئةً للغاية ، اذ لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقا ، وكان بطن النبي صلى الله عليه وسلم معصوباً بحجرٍ (٨٢) من الجوع ، ومع ذلك صبر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام صبراً لا مثيل له في التاريخ كله ، وثبت ثباتاً عظيماً ، حتى انسحب المشركون يجرون أذيال الخزي والعار ، وحينذاك فقط قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، ونحن نسير اليهم » (٨٣) .

وفي غزوة بني المُصْطَلِق من خُزاعَة ، حاول أحد المشركين اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أدركته القائلة ، فنزل تحت شجرة واستظل بها ، وعلق سيفه . وتفرق الناس في الشجر يستظلون ، فأتاه أعرابي وهو نائم ، واخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستيقظ والأعرابي على

---

(٨٠) طبقات ابن سعد (٦٦/٢) وسيرة ابن هشام (٢٣٥/٣) ، فالحنوا لي لحناً : أي قولوا قولا يخالف ظاهر الكلام معناه . وفت في عضده : اذا ضعفه واوهنه ، وانظر سيرة ابن هشام (٢٣٧/٣) ، وانظر حول نقله التراب ما جاء في فتح الباري بشرح البخاري (٣٠٨/٣) .

(٨١) طبقات ابن سعد (٦٧/٢) ، والآية الكريمة من سورة الأخراب (٣٣ : ١٠).

(٨٢) فتح الباري بشرح البخاري (٣٠٤/٧) .

(٨٣) فتح الباري بشرح البخاري (٣١١/٣) .

رأسه صلى الله عليه وسلم مخترطاً سيفه صلتا ، فقال : «مَن يمنعك مني ؟!» ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله »[٨٤] .

وفي هذه الغزوة ، ازدحم أحد الأنصار بأحد المهاجرين على الماء ، فنادى الأنصاري : « ياللأنصار ! » ، ونادى القرشي : « يا لقريش ! يا لكنانة ! » ، فأقبلت قريش سراعاً ، وأقبلت الأوس والخزرج، وشهروا السلاح ، فقال عبدالله بن أُبَيّ رأسُ المنافقين : « لئن رجعنا الى المدينة ، ليخرجن الاعز منها الأذل » ، ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : « هذا ما فعلتم بأنفسكم ! » . وخرج من ساعته وتبعه الناس ، فتقدم عبدالله بن عبدالله بن أُبَيّ الناسَ حتى وقف لأبيه على الطريق ، فقال : « لا أُفارقك حتى تزعم أنك الذّليل ومحمد العزيز » ، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « دَعْهُ ، فلعمرى لَنُحْسِنَنّ صحبته مادام بين أظهرنا »[٨٥] .

وحاول أبو سفيان بن حرب قبل اسلامه ، اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال لنفرٍ من قريش : « ألا أحدٌ يغتال محمداً ، فانه يمشي في الأسواق ؟ » ، فأتاه رجل من الأعراب ، فقال : « قد وجدتَ أجمع الرّجال وأشده بطشاً وأسرعه شدا ، فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ، ومعي خَنجر مثل خافية النسر فأسوره[٨٦] ، ثم آخذ في عيرٍ وأسبق القوم عدوا ، فانني هادٍ بالطريق خرّيت »[٨٧] ، قال : « أنت صاحبنا ! » ، فأعطاه بعيراً ونفقةً وقال : «اطْوِ أمرك» . وخرج ليلاً ، فسار على راحلته خمساًوصبّح المدينة صبح سادسه ، وأقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

(٨٤) فتح الباري بشرح البخاري (٣/٣٣٣) .
(٨٥) طبقات ابن سعد (٢/٦٥) وسيرة ابن هشام (٣/٣٣٤ ـ ٣٣٦) .
(٨٦) أسورة : أبطش به .
(٨٧) الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة .

دُلَّ عليه ، فعقل راحلته ثم أقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبدالأشهل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا ليريد غدراً ! » . وذهب الرجل ليحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجذبه أحد الأنصار ، فاذا بالخنجر، فسقط في يديه وقال : «دمي ! دَمِي ! » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصدقني ، ما أنت ! ؟ » ، قال : « وأنا آمِن ؟ ! » ، قال : « نعم » ، فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان ابن حرب ، فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم الرجل [٨٨] .

وفي غزوة الحديبية [٨٩] حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم ابرام الهدنة بين المسلمين وبين قريش ، ضاق بعض المسلمين بأمر الهدنة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « يا رسول الله ! ألستَ برسول الله ؟! » ، قال : «بَلَى» ، قال : «أو لسنا بالمسلمين؟! »، قال : « بَلَى » ، قال : « أو ليسوا بالمشركين ؟ ! » ، قال : « بَلَى » ، فقال : « فَعَلاَمَ نعطي الدَّنِيَّة [٩٠] في ديننا ؟ ! » ، فقال : « أنا عبدالله ورسوله ، لن أُخالف أمره ، ولن يُضيِّعني » [٩١] .

وكان مما أثار حفيظة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره ، صبر النبي صلى الله عليه وسلم على سُهَيل بن عمرو أثناء كتابة العهد ، يقول : « أكتب :

---

(٨٨) طبقات ابن سعد (٩٣/٢ ــ ٩٤) .
(٨٩) الحديبية : قرية ليست بكبيرة ، بينها وبين مكة مرحلة واحدة : وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، ويقال : ان بعضها في الحل وبعضها في الحرم، سميت بذلك لبئر فيها تسمى : الحديبية .
(٩٠) الدنية : الذل والصغار ، يريد : لماذا نقبل من المشركين ما يعتبر هواناً ومذلة ؟!
(٩١) سيرة ابن هشام (٣٦٥/٣ ــ ٣٦٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم » ، فيقول سُهَيْل : « أمْسِكْ ، لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « أُكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، سُهَيْل بن عمرو » ، فيقول سهيل : « أمسك ، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك » (٩٢) .

وفي غزوة الفتح ، رأى المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة المكرمة ، ورأسه قد انحنى على رحله ، وبدا عليه التواضع الجم ، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحِلته خشوعا ، وترقرقت في عينيه الدموع تواضعاً وشكراً لله (٩٣) .

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة خطيباً ، فكان مما قاله : « لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين ، الا سدانة البيت وسِقاية الحاج ... يا معشر قريش ! ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء : الناس من آدم ، وآدم من تراب : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (٩٤) ، يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ! ؟ »، قالوا : « خيراً أخ كريم وابن أخٍ كريم » ، فقال : «اذهبوا فأنتم الطّلقاء»(٩٥) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لما كان يوم الفتح ، ورسول الله

(٩٢) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٦) .
(٩٣) الرسول القائد (٣٤٧) .
(٩٤) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٣) .
(٩٥) سيرة ابن هشام (٤/٣١ ــ ٣٢) .

صلى الله عليه وسلم بمكة ، أرسل الى صفوان بن أمية بن خلف والي أبى سفيان بن حرب والي الحارث بن هشام ، فقلت : قد أمكن الله منهم ، أعرّفهم بما صنعوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم : مثلي ومثلكم كما قال يوسف لأخوته : (لاتثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين)[٩٦].

وحين كان يطوف بالبيت الحرام ، أراد فُضالة بن عُمير بن الملوح الليثي قتله ، فلما دنا منه قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أفُضالة ؟ ! » ، قال : « نعم ، فُضالة يارسول الله ! » ، قال : «ماذا كنت تُحدث به نفسك ؟ ! » ، قال : « لا شيء ، كنت أذكر الله عز وجل» ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « استغفر الله » ، ثم وضع يده على صدر فُضالة ، فكان فُضالة يقول : «والله ما رفع يده عن صدري ، حتى ما من خلق الله شيء أحب اليّ منه »[٩٧] .

وفي غزوة حُنين ، انهزم المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، فانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمين ، ثم قال : « أين أيها الناس ؟ ! هلموا الي ، أنا رسول الله محمد بن عبدالله» ، وقد بقى نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته [٩٨] ، فأمر عمه العباس أن ينادي : «يا معشر الأنصار ! أصحاب السمرة ! يا أصحاب سورة البقرة ! » ، فأقبلوا كأنهم الأبل اذا حنت على أولادها ، يقولون : « يا لبيك ! يا لبيك ! » ، وحملوا على المشركين [٩٩] .

في ذلك الموقف العصيب الحرج للغاية ، أراد شيبة بن عثمان بن طلحة

---

(٩٦) طبقات ابن سعد (١٤١/٣ ـ ١٤٢) والآية الكريمة من سورة يوسف (١٢ : ٩٢) .
(٩٧) سيرة ابن هشام (٢٧/٤) .
(٩٨) سيرة ابن هشام (٧١/٤ ـ ٧٢) .
(٩٩) طبقات ابن سعد (١٥١/٣) وسيرة ابن هشام (٧٤/٤) .

أن يغتال النبي صلى الله عليه وسلم ! قال شيبة : «قلتُ اليوم أدرك ثأري ... اليوم أقتل محمدا ، فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع ، وكان أبو شيبة قد قُتل يوم أحُد » (١٠٠) .

ويوم حُنين أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حُنين في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن نصيب الأنصار منها شيء . ووجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة (١٠١) ، وحتى قال قائلهم : «والله رسول الله صلى الله عليه وسلم حنّ الى قومه!!» .ودخل عليه سعد بن عُبادة، فقال: «يا رسول الله! ان هناك من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت : قسمت في قومك ، واعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الانصار منها شيء ! » ، قال : «فأين أنت من ذلك ، قال : «يارسول الله ! ما أنا الا من قومي» ، قال : «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة»(١٠٢) .

وخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «يا معشر الانصار ما قالة بلغتني عنكم وجـدة (١٠٣) وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة(١٠٤) فأغناكم

---

(١٠٠) سيرة ابن هشام (٤/٧٤) .

(١٠١) القالة : الكلام الرديئي .

(١٠٢) الحظيرة : هي في الأصل ، مكان يتخذ للابل والغنم يمنعها الانفلات وهجمات اللصوص والوحوش .

(١٠٣) الجدة : اراد بها الغضب

(١٠٤) عالة : فقراء .

الله ، وأعداء فألف بين قلوبكم ؟ !» ، قالوا : «بلى ، الله ورسوله أمن[105] وأفضل » .

ثم قال : « ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ! » ، قالوا : «وبماذا نجيبك يارسول الله ؟ ! لله ولك المن والفضل ». فقال : «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ! أتيتنا مكذّبا فصدقناك ، واستنصرتنا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك[106] ، أوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم لعاعة[107] من الفيء تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم؟! ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله الى رحالكم ؟! فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، ولو سلك الناس شعبا[108] وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصار » ، فبكى القوم حتى أخضلوا[109] لحاهم ، وقالوا : «رضينا برسول الله قسما وحظا »[110]

ج ـ في نفسه :

كانت غنائم يوم حنين أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، وستة آلاف نسمة من السبي[111] ، وقد أعاد

---

(١٠٥) أمن : هو أفعل تفصيل من المنة ، وهي النعمة .
(١٠٦) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .
(١٠٧) اللعاعة : بقلة حمراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .
(١٠٨) الشعب : الطريق بين جبلين .
(١٠٩) اخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع . والفصن الخضل : هو الذي بله المطر .
(١١٠) سيرة ابن هشام (١٤٧/٤ ـ ١٤٨) وعيون الأثر (١٩٤/٢ ـ ١٩٥) والسيرة الحلبية (١٤١/٣ ـ ١٤٢) وفتح الباري بشرح البخاري (٣٨/٨ ـ ٤٤).
(١١١) الرسول القائد (٣٦١ ـ ٣٦٢) .

النبي صلى الله عليه وسلم السبايا الى بني هوازن [١١٢] .

فهل أبقى النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئا من هذا المال ؟

لقد قام يومئذ الى بعير ، فأخذ وبرة من سنامه [١١٣] بين اصبعيه ، ثم رفعها وقال : « أيها الناس ! والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط [١١٤] والمخيط ، فان الغلول [١١٥] يكون على أهله عارا ونارا وشنارا [١١٦] يوم القيامة »[١١٧] .

بل هل أبقى شيئا من ماله الخاص ؟ !

كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله ، لايجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم الشعير .

وفي يوم من الايام ، جاءت فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم بكسرة خبز ، فقال : «ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟» ، قالت : «قرص خبزته ، فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة» ، فقال : «أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام !! » .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « ماشبع آل محمد غداء وعشاء

---

(١١٢) سيرة ابن هشام (١٣٥/٤) .

(١١٣) السنام : أعلى ظهر البعير .

(١١٤) الخياط : الخيط .

(١١٥) الغلول : الخيانة في المغنم .

(١١٦) الشنار : الأمر المشهور بالشنعة والقبح .

(١١٧) سيرة ابن هشام (١٣٨/٤ ـ ١٣٩) .

من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات ، حتى لحق بالله » •

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «والله ما أمسي في آل محمد صاع من طعام ، وانها لتسعة أبيات » ، وما قالها استقلالا لرزق الله ، ولكن أراد أن تتأسى به أمتـــه •

وقال عبدالله بن العباس رضى الله عنهما : «والله لقد كان يأتي عـــلى آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالي ، ما يجدون فيها عشاء » •

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فضل طعام عــن شبع حتى لحق بالله ، الا أن نرفعه لغائب » •

وقالت : «كان لنا جيران من الانصار ، لهم ربائب يسقوننا من لبنهـــا ، جزاهم الله خيرا » •

وقالت : « ان آل محمد لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية من طعام بُر ، حتى مضى النبي صلى الله عليه وسلم لسبيله » •

وقالت : «والله ، لقد كان يأتي على آل محمد صلى الله عليه وسلم شهر لانخبز فيه » •

وقالت : « لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما شبع مـــن خبز وزيت في يوم مرتين » •

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودرعه مرهونة عند رجـــل من يهود بوسق من شعير •

وقال أبو هُريرة رضي الله عنه : «ان النبي صلى الله عليه وسلم كـــان

يجوع . فقيل له : «وكيف ذلك الجوع ؟ ! » ، فقال : «لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاما أبدا الا ومعه أصحابه وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه : حسب ابن آدم أكلات يُقمن صُلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (١١٨) .

انه لم يستقر في قلبه العظيم ، ما يجعل للدينار معنى الدينار ، ولا للدرهم معنى الدرهم ، ان فقره صلى الله عليه وسلم كان ، من أنه كان يتسع في الكون لا في المال .

انه يُفهم من فقر النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الشهوات خُلقت مع الانسان تتحكم فيه ، ولكنه كان يتحكم فيها ولا تتحكم فيه ، وان الانسان العاقل يجب أن يكون ذا روح تمتد فتفيض عن غايات جسمه الى ما هو أعلى فأعلى ، حتى تُصبح من حكم النور وانطلاقه وحريته .

ان الفقر وما اليه ، والزُهد وما هو بسبيل منه ، والانصراف عن الشهوات والرذائل ، كل ذلك ان هو الا تراجع النفس العالية الى ذاتها النورانية .

هذا هو سيد الامة ، يُمسكه في الحياة نبيا عظيما ، ما يُخرج غيره منها

---

(١١٨) الحديث رواه احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه والحاكم ، انظر : مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٢٥٩) ، وانظر ما جاء حول شدة العيش على رسول الله صلى الله عليه وسلم في : طبقات ابن سعد (١/٤٠٠ ــ ٤١٠) .

ذليلا محتقرا ، كأنما أشرق صفاء نفســه على تراب الأرض ، فـرده أشـعة ونورا[119] .

لم يفكر أبدا بنفسه ، كما لم يفكر أبدا بأهله ، يُسبغ عليهم هذا الترف الذي يشيع بين ذوي الجاه والسلطان ، وحين نصره الله ورد عنه الأحزاب ، وفتح عليه قُريظة والنضير ، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس يهود وذخائرهم . وكُنّ تسع نسوة قعدن حوله وقلن : «يا رسول الله ! بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والاماء والخول ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق » . وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال ، وأن يعاملهن بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجهم ، فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن من تخييرهن في فراقه ، وذلك قوله : (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كُنتن تُردن الحيـاة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا [120]. وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما)[121].

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فقال لها : «اني ذاكر لك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك» ، فقالت : «ماهو ؟ » ، فتلا عليها الآية ، فقالت : « أفيك أستأمر أبوي ؟ ! بـل أختار الله تعالى ورسوله » .

---

(119) انظر ما جاء في مقال : سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الأعظم ، الوارد في كتاب : وحي القلم ـ الأستاذ المـرحوم مصـطفى صـادق الرافعي (٤٨/٢ ـ ٦٢) ـ ط ٨ ـ بيروت ـ بلا تاريخ .

(120) السراح : الطلاق . ومتعة الطلاق : ما تعطاه المطلقة ، وهو يختلف حسب السعة والاقتدار .

(121) الآيتان الكريمتان من سورة الأحزاب (٣٣ : ٢٨ ـ ٢٩) ، انظر تفسيرها في تفسير ابن كثير (٥٣٨/٦ ـ ٥٤٢) وتفسير البغوي (٥٣٨/٦ ـ ٥٤٢) وتفسير الكشاف للزمخشري (٤٢٩/٢) .

ثم تتابعن كلهن على ذلك ، فسماهن الله : أمهات المؤمنين ، تعظيما لحقهن، وتأكيدا لحرمتهن ، وتفضيلا لهن على سائر النساء .

لقد أمره ربه أن يخيرهن جميعا في سراحهن ، فيكن كالنساء ويجدن ماشئن من دنيا المرأة ، وبين امساكهن فلايكنّ معه الا في بيعة أخرى تبدأ من حيث تنتهي الدنيا وزينتها ، ولا تقتصر الآية الكريمة على نفي الدنيا وزينة الدنيا عنهن ، بل نفت الأمل في ذلك أيضا الى آخر الدهر ، وأماتت معناه في نفوسهن ، بقصر الارادة منهن على الثلاثة : الله في أمره ونهيه ، والرسول في شدائده ومكابدته ، والدار الآخرة في تكاليفها ومكارهها ، فليس هناك ظرف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المرأة ولا اعتبار لمزاجها ولا زلفى لأنوثتها، بل هو تخيير بين ضدين لاتتلون بينهما حالة تكون منهما معا [١٢٢] .

وكما كان قدوة في تقشفه ، كان قدوة في خُلقه ومعاملاته ، وفي سيرته في بيته ومع أهله والناس .

وأخيرا مات النبي صلى الله عليه وسلم متأثرا بالسم ذي المفعول البطىء، فقد أهدت امرأة يهودية من خيبر شاة مسمومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكل منها ، وأكل بعض من كان معه من أصحابه ، ومنهم بشر بن البراء ابن معرور ، فمات بشر ، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل ، وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رؤوسهم .

وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين ، حتى كان وجعه الذي قبض فيه ، فجعل يقول في مرضه : «ما زلتُ أجد من الأكلة

(١٢٢) انظر مقال : درس من النبوة للأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتاب وحي القلم (٢/٦٤ ـ ٦٥) .

التي أكلتها يوم خيبر عدادا ، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري[١٢٣] ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا ، صلوات الله ورحمته وبركاته عليه[١٢٤] .

لقد تحمل التعذيب والأذى ، والتكذيب والمقاطعة ، والاضطهاد والمطاردة، وهو الشريف الصادق الأمين الغني ، الذي كان بامكانه أن يعيش في رفاهية وعز وسؤدد .

واستهان بالوعد والوعيد والمال والمجد ، وصبر على شظف العيش والجوع والعري والمشقة ، وهو القوي الامين ، السيد الثرى ، الذي كان بامكانه أن يعيش مصانا مترفا .

وقاتل قومه وقبيلته ، وعادى من عادى الاسلام ، وسالم من سالم الاسلام، وعرض نفسه للقتل في ساحات الجهاد مجاهدا ، وخارج ساحات الجهاد داعيا، وضحى بالأقربين من أهله وبنفسه ، وتحمل المسئوليات الجسام التي تنوء بها العصبة القوية من أفذاذ الرجال ، واستأثر بنفسه لنفسه بالأخطار الفادحة ، وهو البر الرحيم الذي كان بأمكانه أن يعيش مرفها مصانا بعيدا عن الاخطار .

انه كان تجسيدا حيا لتعاليم الاسلام عقيدة وتشريعا ومثلا عليا وعملا وتضحية وجهادا ، فهو الأسوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)[١٢٥] .

---

(١٢٣) الأبهر : عرق في الظهر . والعداد : يقال به مرض عداد ، يدعه زمناً ثم يعاوده .

(١٢٤) طبقات ابن سعد (٢/٢٠٢ ــ ٢٠٣) .

(١٢٥) الآية الكريمة من سورة الأخراب (٣٣ : ٢١) .

انه كان مثالا حيا وبشرا سويا للخلق الكريـم : (وانـك لعلى خلـق عظيم)[١٢٦] ، والاسلام في حقيقته وروحه عقيدة وعمل وتضحية وجهـاد ، وكلها في جملتها وتفصيلها معنى من معاني الخلق الكريم .

أيبذل بشر من ذات نفسه ووقته وجهده مثل هـذا البذل ؟ ! أيُضحي انسان بماله ونفسه وأهله وقومه مثل هذه التضحية ؟ ! أيجاهد رجل بما يملك من مال ونفس وغال ورخيص مثل هذا الجهاد ؟ ! أيستطيع أحد أن يتحمل كل هذا البذل والتضحية والجهاد ؟ !

وصدق الله العظيم : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[١٢٧] .

ان المرء حين يستمع الى مثل هذه (الأمثلة) الرائعة من بذله وتضحيته وجهاده ، يسمعها وهو مبهور الأنفاس ، يكاد يُصعق بروعتها وبهائها وجمالها وجلالها ، فكيف به لو استمع الى كل تفاصيل بذله وتضحيته وجهاده في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا .

لقد تأسى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به في حياته ، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، لذلك كان قرنه خير القرون ، وكان رجاله أعظم الرجال ورعا وخُلقا وشجاعة واقداما ، فأصبحوا قدوة لمن حولهم من الناس ، كـل حسب حاجاته وطاقاته ، ولا يُكلف الله نفسا الا وسعها .

ان القدوة الحسنة ، هي التي تؤثر في الانسان فتبنيه ، لأن القدوة عمل مخلص ينقلب في الآخرين عملا مخلصا ولا يبقى كلاما .

والذين يريدون ان يبنوا الانسان ، يجب أن يُقدمـوا أعمـالا بـاقية ،

---

(١٢٦) الآية الكريمة من سورة القلم (٦٨ : ٤) .
(١٢٧) الآية الكريمة من سورة الأنعام (٦ : ١٢٤) .

ليكونوا قدوة حسنة ، لا كلاما فارغا يتبدد ثم تذروه الرياح •

فلينظر الرُعاة كيف يعملون •

٣ ـ اختيار المسؤولين

اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، والمسئول المناسب للواجب المناسب ، ليس سهلا ، وهو سر نجاح الحكام والمحكومين في الحياة العملية •

ليس سهلا ، لأن النفس الأَمَّارَة بالسُّوء ــ الا مَنْ رَحِمَ ربُّك ــ تحول دون تولية مَنْ هو أفضل منها كفاية وعلماً وخُلقا ، وحتى خَلْقاً في بعض الأحيان بالنسبة لبعض المسئولين •

وهو سر نجاح الحكام والمحكومين ، لان الحكام الصالحين هم الذين يقودون الى النصر في أيام الحرب ، والى التقدم في أيام السلام ، ولأن المحكومين القادرين هم الذين يُعينون الحكام على احراز النصر في أيام الحرب ، ويعينونهم على التقدم والرُقيّ في أيام السلام •

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مؤيداً من الله سبحانه وتعالى بالوحي ، وكان لهذا التأييد أثر حاسم في توفيقه بشيراً ونذيرا ، ومشرّعاً وقاضيا ، وسياسياً واداريا ، وقائداً وجنديا ، ومعلماً ومربيا ، وبشراً وانسانا • وهذا التأييد الالهي ، لا يمنع من أن تكون لكفاياته الشخصية أثر حاسم أيضاً في توفيقه ، وهذه الكفايات هي القدوة الحسنة والاسوة والمَثَل ، التي باستطاعة المسلم أن يضعها نصب عينيه ، لأنها كفايات بشرية متميزة يمكن الطموح في اقتفاء آثارها ما استطاع المقتفي الى ذلك سبيلا •

أما التأييد الالهي بالوحي ، فيقتصر على الرُسُل والأنبياء وحدهم •

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة الطويلة لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتفكير الطويل المتأني في أحداثها وحوادثها ، أن من ضمن كفاياته الفذة المتميزة ، قابليته النادرة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، أو اختيار المسئول المناسب للواجب المناسب .

ووجدت أن هذه القابلية التي التزم بها التزاماً صارماً في حياته المباركة ، هي من أهم الأسباب (الدنيوية) لانتصاره في أيام الجهاد ، ونجاحه في أيام السلام .

كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يعرف أصحابه معرفة مفصلة ، وكان يعرف ما يتميز به كل صحابى من مزايا تفيد المجتمع الاسلامي الجديد ، وكان يسخر تلك المزايا تسخيراً كاملا لخير ذلك المجتمع وللمصلحة العامة للمسلمين.

وكان في نفس الوقت ، يُدرك ما يُعاني كل صحابي من أصحابه من مثالب ، وكان يتغاضى عن تلك المثالب ويغض الطرف عنها ، ويحاول تقويمها وتلافيها واصلاحها ، وكان يذكر أصحابه بأحسن ما فيهم من مزايا ويشيد بها ، ويأمر أصحابه أيضاً بالتغاضي عن مثالب اخوانهم ، والاشادة بأحسن ما فيهم تقديراً واعجابا .

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام ، بهذا السلوك الرائع الذي التزم به في كل حياته المباركة : يُشيد بالمزايا وينتفع بها لخير الاسلام والمسلمين ، ويغض الطرف عن المثالب ويقومها بالحُسنى ، ثم يداويها بما عُرف عنه من حكمةٍ وموعظة حسنة وتشجيع وتربية مثالية .

بهذه الخطة الرائعة والطريقة السليمة والأسلوب الحصيف ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يبني الانسان المسلم ولا يحطمّه ، ويقوّم المعوج ولا

يكسره ، ويشيّد للحاضر والمستقبل ، لا للحاضر وحده أو للساعة التي هو فيها .

لقد كان يعلم علم اليقين ، أن كل انسان يتسم بمزايا حميدة معينة ، وفي نفس الوقت يعاني من نواقض خاصة به ، لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى، فكانت اشادته بالمزايا واشادة أصحابه بها ، تقوي تلك المزايا وتشد أزرها . وكان اغضاؤه عن المثالب واغضاء أصحابه عنها ، وذكر أصحابها باحسن ما فيهم من خصال ، يُقلّل من أثر المثالب وتأثيرها ويستر عليها ، ويجعلها تتضاءل شيئاً فشيئاً ، حتى تتلاشى نهائياً ، أو يضعف أثرها وتأثيرها ، وقد تنتهي الى الأبد .

وكان عليه الصلاة والسلام ، يدرك كل الادراك ، أن كل انسان لابد من أن يُعاني من نقص أو نواقص في ناحية من نواحيه الخُلقية ــ وكفى المرء نُبْلاً أنْ تُعَدَّ مَعَايِبُه ــ فكان يغض الطرف عن النقص أو النواقص في أصحابه ، ويستفيد لمصلحة الاسلام والمسلمين من ناحية الكمال ، فلا يكون ذلك النقص أو تلك النواقص سُبَّةً أو مَثْلَبَةً ، لأنه كان يُبرز ناحية الكمال ويُنوِّه بها وبصاحبها ويذكُرُه بها ويُثني عليه أعظم الثناء .

وكان لا يُبقي المزايا طاقات معطلة ، بل ينتفع بها لمصلحة الاسلام والمجتمع الاسلامي الجديد ، وهكذا تتضافر الطاقات المتميزة لشدِّ أزر الامة وتقويتها ودفعها نحو النصر والبناء .

لقد كان من بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، مَنْ تميز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله لأغراض الدعوة والجهاد ، ولمعاونة الفقراء والمحتاجين، ولم يُكلّفه عليه الصلاة والسلام بمصاولة الصناديد والأبطال ، اذا لم يكن قادراً على خوض ميادين الجهاد .

وكان من بين أصحابه ، مَنْ تميَّز بالقيادة العسكرية ، فولاه قيادة المجاهدين في السرايا والغزوات .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميَز بالشَجاعة الفردية ، ولم تكن له قابليّة قياديّة ، فاستفاد منه في مبارزة الشجعان والأقران ، والنهوض بالواجبات الفدائية جندياً من جنود المسلمين ، دون أن يولّيه القيادة .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميَّز بالرأي السَّديد والتفكير العميق ، فأفاد منه عليه أفضل الصلاة والسلام في مجال الرأي والحكمة والشورى .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميّز بالقيادة الادارية ، فاستفاد منه في مجال الولاية على الأمصار .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميّز بالقيادة المالية ، فاستفاد منه في مجال جباية الأموال والسيطرة على الأمور المالية .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميّز بالقضاء بين الناس ، فاستفاد منه في المجال القضائي .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميّز بالتأثير في نفوس وعقول وقلوب الآخرين داعية الى الله ، فأفاد منه في مجال الدعوة ، واتَخذ من صَفْوتهم رُسُلاً الى الملوك والأمراء .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميّز باتقان حِفْظ القرآن الكريم وترتيله وتفسيره ، فاستفاد منه في مجال تعليم القرآن الكريم وعلومه .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميّز بالفقه ، فاتخذ منهم معلّمين للفقه الاسلامي وتعاليم الاسلام .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميّز بقول الشّعر المتين ، فأفاد المسلمون من شعره وبيانه .

وكان من بين أصحابه مَنْ تميَّز بالخَطابة ، فأفاد المسلمون من قابليته الخطابية .

وكان .... وكان ....

كل تلك الكفايات المتميِّزة في الرِّجال ، استفاد منها المسلمون ، ولم تُغْمَط كفاية ولم يُهْمَل صاحب كفاية ، وبذل عليه الصلاة والسلام قُصارى جهده لاضفاء التجربة العملية على تلك الكفايات .

وضع عليه الصلاة والسلام ، كل رجل من ذوي الكفايات المتميزة ، في المكان المناسب لكفايته ، وفسح له المجال لاضفاء التجربة العملية عليها .

سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في عمره القضاء التي كانت في شهر ذى الحجة من السنة السابعة الهجرية الوليدَ بن الوليد المخزومي أخا خالد بن الوليد رضي‌الله عنهما قائلا : « أين خالد ؟ » ، ثم قال : « ما مثل خالد مَن جهل الاسلام، ولو كان جعل نكايته وحدّه مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ولقَدّمْنَاهُ على غيره » .

وكتب الوليد بن الوليد بذلك الى أخيه خالد ، فكان ذلك سبب هجرته الى المدينة المنورة واعلان اسلامه .

وقدم خالد بن الوليد المدينة المنورة مهاجراً الى الله ورسوله ، في أول يوم من صَفر سنة ثمانٍ الهجرية .

قال خالد : « .... فلما طلعتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلاة والسلام بوجه طلق ، فأسلمتْ وشهدت شهادة الحق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد كنتُ أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك الا الى خير . وبايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : استَغْفِرْ كلّ ما وَضعتُ فيه من صَدٍ عن سبيل الله ! فقال : الاسلام

يَجُبّ ما قبله [128] . قلتُ : يا رسول الله ! على ذلك . قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدٍ عن سبيلك...فوالله ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمتُ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يَحزُبُه »[129] .

وما يقال عن خالد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضاً ، فقد ولاه قيادة أصحابه في الجهاد بعد اسلامه مباشرة ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام عن خالد وعمرو لأصحابه الذين كانوا حوله حين قدما المدينة المنورة مسلمين : « ألْقَتْ اليكم مكّة أفلاذ كَبِدِها » [130] .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه غَنياً ، فأفاد المسلمون من ثرائه : ابتاع للمسلمين مِرْبداً [131] بعشرين الفاً ، واتباع للمسلمين بئر رُوْمَة[132]، وجهز جيش العُسْرَة الذي زحف شمالا بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة جيش الروم في تبوك حتى ما يفقد هذا الجيش عِقالاً ولا خطاما[133]، ولم نسمع أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام كلف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطِعان .

وكان حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه شاعراً مجيداً ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعرية ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتركه

---

(١٢٨) طبقات ابن سعد (٥٢/٤) و (٣٩٤/٧) .

(١٢٩) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٣) .

(١٣٠) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٣) .

(١٣١) المربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .

(١٣٢) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة ، وهي من ضواحي المدينة المنورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢) .

(١٣٣) سنن النسائي (١٢٤/٢) وانظر حاشية السندي علي النسائي على هامش سنن النسائي (١٢٤/٢) .

مع النساء والاطفال والشيوخ العاجزين عن القتال عندما يتوجه للجهاد •

وكان كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدون من أشجع الشجعان ، ولكنهم بقوا جنوداً حسب في جيش المسلمين ، ولم يتولوا قيادة المجاهدين ، لانهم كانوا جنوداً متميزين ولم يكونوا قادة متميزين •

وكان جميع المسلمين في حينه دعاةً الى الله ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم اصطفى منهم رسله الى الملوك والامراء في زمانه ، ولم يُكلف بمثل هذا الواجب الحيوي غير المصطفين من الدعاة •

وكان من بين أصحابه عليه الصلاة والسلام ، من يُحسن القراءة والكتابة، فاختار منهم مَنْ جعله من كُتاب الوحى ومن كُتابه الى الملوك والامراء والى غيرهم من الناس •

وكان من بينهم اداريون وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته •

وقد سأله قسم من الصحابة أن يوليهم مناصب ادارية ، فرد الذين لا يستطيعون النهوض بمثل هذا الواجب ، وذكر لقسم منهم بصراحة تامة سبب عزوفه عن توليتهم •

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « دخلتُ أنا ورجلان من بني عمي على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أحد الرجلين : «يا رسول الله ! أمِّرْنا على بعض ما ولاك الله ••• وقال الآخر مثل ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انا لا نُوليِّ هذا الأمر أحداً سأله ، ولا أحداً حرص عليه»•

وطالب الولاية لا يُوَلَّى •

وقال أبو ذر الغِفَاري رضي الله عنه : « يارسول الله ! ألا تستعملني ؟! فضرب النبي صلى الله عليه وسلم على مَنْكِبَيَّ ، ثم قال : يا أبا ذر ! انك

ضعيف ، وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا الذي أخذها بحقها وأدى الذي عليها » •

ذلك هو رجل الدولة الحق ، لا يولى أحداً سأله الولاية، ولا أحداً حرص عليها ، ولا أحداً لا يستحقها •

انه يوليها لمن يعتبر توليته تكليفاً لا تشريفاً ، ويكون قادراً على حملها ، لا قادرة على حمله •

وكان عليه الصلاة والسلام ، يتغاضى عن هِنات المسلمين ، وحسبه أن ينتفع بمزاياهم لمصلحة الاسلام والمسلمين العليا ، فمزاياهم للمسلمين وهناتهم على أنفسهم •

قبل حركة جيش المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة المكرمة (١٣٤) ، حرص عليه الصلاة والسلام على كتمان حركته من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، كما حرص على كتمان نياته في الفتح ، حتى يباغت قريشاً ويجبرها على الاستسلام دون اراقة دماء •

ولكن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ، كتب رسالة الى قريش ، وأعطاها امرأة كانت متوجهة الى مكة المكرمة ، أخبر بها قريشاً بنيات المسلمين في الحركة لفتح مكة •

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة ، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما ، ليدركا تلك المرأة التي تحمل تلك الرسالة ــ رسالة حاطِب ــ فأدركاها في الطريق ، وأخذا منها تلك الرسالة التي كانت معها •

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً يسأله : ما حمله على ذلك !؟ فقال

---

(١٣٤) كان ذلك في شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة الهجرية .

حاطب : « يا رسول الله ! أما والله اني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنني كنت امرأً ليس له في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم » ! فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « يا رسول الله ! دعني فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما انه قد صدقكم ، وما يدريك ؟! لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم » .

شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، فعفا النبي صلى الله عليه وسلم عنه، وأمر أصحابه أن يذكروه بأفضل ما فيه .

وعاش حاطب بعد ذلك في مجتمع الصحابة ، لا يشنع عليه أحد ، ولا يذكره الناس الا بالخير ، ولا يسمعونه الا ما يشتهي ، ولا يرددون عنه الا أفضل ما فيه من خصال .

كانوا يقولون عنه حين يرونه أو حين يذكرونه : انه بدري ... شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم ... وكفاه بذلك فخرا .

وبعد فتح مكة المكرمة ، أسلم عكرمة بن أبي جهل المخزومي(١٣٥) وحسن اسلامه ، ثم أصبح من أعاظم قادة الفتح الاسلامي المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

وكان أبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين كافة وللدين الحنيف ، وقد لقي مصرعه في غزوة بدر الكبرى كما هو معروف، فمات غير مأسوف عليه ، وتخلص المسلمون بموته من خصم لدود .

وكان الصحابة يذكرون أبا جهل بن هشام بما فيه ، فلما أسلم ابنه عكرمة

---

(١٣٥) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٨٥ ــ ٩٥) .

وحسن اسلامه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لهم : عكرمة يأتيكم ، فاذا رأيتموه فلا تسبّوا أباه ، فان سب الميت يؤذي الحي .

هكذا يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام ، بالكف عن سب أعدى أعداء الاسلام والمسلمين ، اكراما لولده المسلم ، حتى لاتتأثر نفسية هذا الولد من أجل سب والده ، فتتعقد نفسيته ويضيق ذرعا بالمجتمع الاسلامي الذي يعيش بين أفراده وجماعاته : له ما لهم ، وعليه ما عليهم .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يعرف حق المعرفة كل مزايا أصحابه، فيفيد من تلك المزايا ويبرزها للعيان ، ويشجع أصحابها ويثني عليهم أطيب الثناء .

وهو في الوقت نفسه ، يغض الطرف عن النواقص ويتستر عليها ، ويبذل جهده لاصلاحها ، والمهم ألا يذكرها ولا يرضى عن ذكرها ، بل يكتفي بذكر المزايا حسب ويأمر أصحابه بذكرها حسب أيضا .

واستفادته من كل مزية ، لكل مسلم من أصحابه ، واستقطاب المزايا لبناء المجتمع الاسلامي ، فلا يضع لَبِنة الا في مكانها اللائق بها والمناسب لها ، جعل هذا البناء يرتفع ويتعالى سليما مرصوصا يشد بعضه بعضا .

وكان ذلك سببا من أهم أسباب انتصار النبي صلى الله عليه وسلم عسكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفي أيام السلام وأيام الحرب .

فلما التحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، كان بين المسلمين قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء ومحدثون ومفسرون وسفراء وشعراء وخطباء ، قادوا الأمة عسكريا وسياسيا واداريا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا الى المجد والسؤدد والنصر والتقدم والخير ، والى الفتح والتطور والتوفيق ، والى طريق الحق وسبيل الرشاد .

وكان أولئك القادة في شتى المجالات، هم خريجي مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم.

ذلك هو الدرس الذي يجب أن يتعلمه العرب والمسلمون في هذه الأيام وفي المستقبل أيضا، حكاما ومحكومين، وقادة وشعوبا : أن يبنوا الرجال ولا يحطموهم، وأن يستفيدوا من الكفايات ولا يعطلوها، وأن يبرزوا القدرات ولا يغمطوها، وان يضعوا الرجل المناسب في المكان المناسب.

والسؤال الآن : كيف يستطيع الحاكم أن يبني الكفايات، ويضع الشخص المناسب في المنصب المناسب ؟

والجواب هو : ليس كل حاكم يستطيع أن يبني الكفايات ويستقطبها ويضعها في المكان المناسب.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قمة من القمم السامقة، نسيانا لذاته وتفكيرا في الاسلام والمسلمين، واخلاصا لمصالح المسلمين العليا أفرادا وجماعات وأمة.

لذلك خرج في مدرسته القمم من جميع أصناف الكفايات والقابليات القادرة على شغل مختلف المناصب والواجبات.

وليس ذلك بالأمر السهل، وبخاصة نسيان الذات من أجل المصلحة العامة، فهو جد عسير بالنسبة للذين تأمروا من أجل مصالحهم، لا من أجل مصالح الآخرين، ومن أجل أنفسهم لا من أجل الأنفس الاخرى.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من استعمل رجلا [١٣٦] من عصابة [١٣٧] وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»،

---

(١٣٦) امير أو عريف أو امام ... الخ .
(١٣٧) عصابة : جماعة من الناس .

عن عبدالله بن عباس ، وهو حديث صحيح [١٣٨] .

ذلك هو رجل الدولة ، وهذا هو بيانه للناس في سمة رجل الدولة ، قاله عليه الصلاة والسلام ، في كلمات معدودات ، ولكنها تُغنى عن مؤلفات في مجلدات ، ولا عجب ، فقد أوتى جوامع الكلم .

ان الحاكم الذي يبني الرجال ، يولي المناصب أفضل من يستحقها ، فيُشعر المحكومين أنهم يُحكمون من أقدرهم كفاية وتجربة ودينا ، ويَشعر المحكومون أنهم يُحكمون من أقدرهم وأحقهم بالحكم .

أما الحاكم الذي يُحطم الرجال ، فيولي المناصب من لايستحقها ، ويُشعر المحكومين أنهم يُحكمون من أقلهم كفاية وتجربة ودينا ، ويَشعر المحكومون أنهم يُحكمون ممن لايستحقون الحكم .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اذا وسد الامر الى غير أهله، فانتظر الساعة» [١٣٩] ، لان ذلك من أشراط الساعة ، ولان ذلك هو الدليل على الخراب .

(يتبع)



(١٣٨) رواه الحاكم في المستدرك ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (٢٧٨/٢) .

(١٣٩) وسد : أسند من امارة وقضاء ... الخ ، حديث صحيح عن ابى هريرة، رواه البخاري ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (٥٨/١) .

الفهرست

الصفحة

اللواء الركن محمود شيت خطاب

سمات سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ٣

الاستاذ كوركيس عواد

العراق في المصنفات المنقولة الى العربية ٦١

الدكتور نوري حمودي القيسي

رقيع الوالبي ، حياته وما تبقى من شعره ١٤٣

الدكتور حاتم صالح الضامن (تحقيق)

غلط الضعفاء من الفقهاء (لابن بري) ١٦٨

الدكتور احمد نصيف الجنابي

الايضاح في القراءات ٢٠١

الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي

عيوب اللسان واللهجات المذمومة

خلاصة اعمال لجنة الاصول للسنة المجمعية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ م ٣٠١

التقرير السنوي للسنة المجمعية ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ .... ٣١٢